

الحزن وبواعثه في أدب مي زيادة

Sadness and its motives in May Ziada's literature

أ.د. رقية شروانة *، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة - الجزائر.

che_rouana@yahoo.fr

د. محمد عادل مغناجي، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة - الجزائر.

تاريخ التسليم: 2023/01/19، تاريخ المراجعة: 2025/08/12، تاريخ القبول: 2025/12/31

Abstract :

This article deals with a study of a female writer who was distinguished in her life, in her literature, and in her grief. Indeed, she was distinguished in her grief and isolation. She lived a life full of tragedies, heavy with pain and sorrows. It is the intensity of striving for suffering that creates greatness... This sadness was reflected in May Ziada's writings, so her literature was imprinted with a veil of melancholy and pessimism as a result of the excruciating pain she suffered from. The writer cannot escape from the circle of sorrows and circumstances surrounding him, so he affects and is affected. She was suffering in silence. But May Ziada's pain cannot overcome her, as she does not give up to it but rather continues to struggle until the last breath of her life. Thus, she defiantly resists sorrows and groans, and this is how a person should be, never to be defeated in the face of eternity and vices.. May's sadness has motives and reasons that we learn about in this article in order to explain the phenomenon of sadness in her literature which was exhibited through her tendency towards pessimism, her influence on romanticism, then her isolation and loneliness. All these factors contributed to crystallizing the depressed May's personality.

Keywords: Pain, causes of sadness, Mai Ziada's literature, pessimism, romance, isolation.

ملخص :

يتناول هذا المقال دراسة عن أدبية تميزت في حياتها، في أدبها، وفي حزنها، نعم تميزت في حزنها وعزلتها، لقد عاشت حياة حافلة بالمآسي، حبلى بالآلام والأحزان، ونكاد نجزم أن ما من شيء عظيم تحقق دون معاناة أو مكابدة للآلام، فالجراحات وشدة المجاهدة للتألم هي التي تخلق العظماء. وقد انعكس هذا الحزن على كتابات "مي زيادة" فجاء أدبها مطبوعا بغشاء من السوداوية والتشاؤم جراء الألم الممض الذي عانت منه، فخلق منها كاتبة عظيمة متميزة، كانت ظاهرة في عصرها. لا يستطيع الأديب أن يخرج عن دائرة الأحزان والظروف المحيطة به فيؤثر ويتأثر، كانت تتألم في صمت. ولكن ألم مي زيادة لا يغلبها فهي لا تستسلم له بل ظلت تكافح إلى آخر رمق من حياتها، هكذا ويتحد تقاوم الأحزان والآهات، وهكذا يجب أن يكون الإنسان، أن لا ينهزم أبدا أمام صروف الدهر ونوائبه. ولحزن مي بواعث وأسباب نعرف عليها في هذه المقالة لكي نعلل ظاهرة الحزن عندها والتي تمثلت في: نزوعها نحو التشاؤم، تأثرها بالرومنطيقية ثم عزلتها ووحدتها، هذه العوامل كلها أسهمت في بلورة شخصية مي المكتتبة. الكلمات المفتاحية: الألم، أسباب الحزن، أدب مي زيادة، التشاؤم، الرومنطيقية، العزلة.

مقدمة:

عاشت مي زيادة حياة تراوحت بين الآمال والأحلام، الابتسامات والدموع، الجزر والمد، أنتجت أدبا يعكس هذه الثنائية المليئة بالتناقضات، وإن كانت الكفة الغالبة للطابع المأساوي الذي ميز أدبها؛ فجاءت كتاباتها حبلً بالشعور الأنثوي الحزين، صارخة بألوان العذاب، فهل كانت هناك مبررات لمبالغتها في هذا الحزن؟ وهل سخرت قلمها للكتابة عن كل ما هو حزين وكئيب؟ وماهي دواعي هذا الحزن؟ نتعرف على هذا النوع من الأدب الذي جاء بمسحة أنثوية حزينة ونقف عند أمثلة لدراساتها.

حزن مي:

عرفت مي بانطوائها وحبها للعزلة منذ طفولتها وما ثبت هذا الحزن فيها شعورها بأنها وحيدة في هذا العالم بفكرها ونبوغها "كانت امرأة أخرى، من معدن نادر لا اسم له. أعطت كل مألديها، ولم تترك لنفسها شيئا..."¹

ولا غرو فـ"الحزن الراشد قد يكون هو الفيض الطبيعي لتعبير الأديب الملتمزم عن غربته".² لم يكن حزن مي حزنا بشريا عاديا، بل كان حزنها من النوع المبالغ فيه، والبون شاسع بين أن تعايش الحزن وأن تعيشه، "فرق كبير بين أن تعيش المأساة وأن تدركها، و هو نفس الفرق بين أن تكون حزينا وأن تدرك معنى حزنك، فبين الرؤية الغائمة والإدراك الناصع يتراوح الوجود بين ظاهر مائل للعيان ومدر كلي".³

و تستمر مي في تصوير معاناتها الهوجاء إذ تقول: " كم من ألم ظن الناس أنه أذلني و سحقني و هو الذي طهرني و رفعتني"⁴

¹ واسيني لعرج: مي /ليالي إيزيس كويا -ثلاثمة ليلة وليلة في جحيم العصفورية -دار الآداب، بيروت، ط1، 2018، ص 41.

² محمود توفيق حسين: أدب وجدان العلي الحزين، صيد الفوائد، تم الاطلاع يوم الخميس 7 جويلية 2022 في الساعة: 13:35 سا <http://www.saaaid.net/wahat/a/80.htm>.

³ عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية، دار العودة و دار الثقافة، بيروت، ط 2، 1972، ص 350.

⁴ نفسه: ص 129.

و تصور في موطن آخر شماتة الناس و استهزائهم بالمتألمين المكروبين المحزونين فترى أن الجريح يتحول جزاء ذلك إلى سجين " في بعض ساعات الألم تشعر بأن للزمن كهفا تحفره الضواري و أنت وحدك فيه سجين و للناس فوقك شامتون يرقصون و يمرحون " ⁵.

هذا وتضعف الأدبية أحيانا و تخور قوتها فتستجد بالصباح مخاطبة إياه: "أنت عظيم أيها الصباح و أنا صغيرة مضطربة فارق بي. أحبك أيها الصباح فأحبني" ⁶. و تكف عن تصوير الحزن الذي يعتلي فؤادها و يقض مضجعها، فتتبرم من الحياة و يخيل إليها أنها أخفقت في العثور على السعادة التي تتشدها، لذلك تراها دائمة البحث عنها ما دامت تتألم: "لو كانت السعادة متعلقة بشأن أو شأئين من شؤون الحياة لتسرق لجميع الناس دهرًا بعد دهر و لكنها كالشقاء تتألف من جميع عناصر الحياة، و وقع كل من تلك العناصر يختلف باختلاف الأمزجة، لذلك تجد البحث عنها متواصلا و التساؤل متجددا في كل قلب ينبض و بألم" ⁷.

و يتفاقم ألمها، و تشتد معاناتها و يكبر الحزن الذي تكتوي بئاره، و هي ككل حزين تفلت من قبضة القدر فذاقت نصيبها من الحزن " وهي فتاة لم يسالمها الدهر و لم تنزل منذ كانت غرضا لسهام الأيام، تنهشها الآلام من كل جانب، و لها نفس شاعرة تضاعف أحزانها فتجعل لها من كل هم همين، و إن حواليا لكثير من الأصدقاء، يزدلفون و يخطبون ودها، و لكنها تريد الصديق الذي لا تسمع عنه إلا كلمات الزلفى والتحبب و اصطناع الهوى...." ⁸ و يتفاقم الهم، و تشتد وطأة الألم فتتوق نفسها المتوجعة إلى الموت " اعترتني حالة انقباض شديد وحزن لا حد له... إن الموت في مثل هذه الحالات يعد كنزا ثمينًا لا يحصل عليه إلا السعيد..."

و هي مرحلة يصل إليها الإنسان عندما تفتك به الأحزان، حينما يحس بالزمان " و أكثر ما يكون إحساسنا بالزمان في نوبات الحزن البطيئة " ⁹. فإذا بلغ القلق أوجه، و الحزن ذروته لم يبق على المحزون سوى طلب الموت و تمنيه.

⁵ نفسه: ص 119.

⁶ م، س: ص 122

⁷ نفسه: ص 117

⁸ محمد سعيد العريان: حياة الرافعي، الشركة الشرقية للنشر و التوزيع، بيروت، ط 2، 1950، ص 116

⁹ سمير الحاج شاهين: لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط

1، 1980، ص 5.

لقد كانت مي مسرحاً للأحزان فجاءت عيون أدبها ملون برداء قشيب تعكس نفسية صاحبتها المتوجعة، وليس هذا فقط، بل إنها نكلت بها - الآلام - و أحالتها إلى عجوز قبل الأوان. " يا حبذا! (...) تلك أول مرة رأيت فيها وجه مي الذي أطراه الناس نعتاً. رأيتها فخلتني أمام كنيسة مهجورة روعة و جلال (...) يا حبذا ! تلك عبارتنا الإقليمية عند الحسرة الممزوجة بالألم (...) كيف لم أدرك ما حوت " يا حبذا ! " من تفجع يعتلج في صدر تلك المسكينة، فرحت أزيد الطين بلة و لا أحس، كانت مي تلك الساعة:

كعصفورة في كف طفل يهينها * تقاسي عذاب الموت و الطفل يلعب

قرأت أن فهمي ختم خطبته، و موضوعها " نزعات مي في حياتها " بهذه الكلمة التي يقال أنها كتبتها قبل موتها: " هذا قبر فتاة لم ير الناس منها غير اللطف و البسمات، وفي قلبها الآلام و الغصات، لقد عاشت و أحببت و تعذبت، و جاهدت ثم قضت ".

... و لم تقز مي بالتصعيد¹⁰. الفرويدي المزعوم للتسامي بفنها وتستولي على الأمد...

¹¹ إذ يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن الأديب حينما يحقق في تحقيق ما يطمح إلى تحقيقه في حياته الاجتماعية، يعوض ذلك بتحقيقه في إنتاجه الفكري، "

وهكذا، فقد اعتمد في تحليل سبب زهد أبي العلاء وعزلته عن الناس و عبقريته وفنه، إلى ظواهر نفسية " ظاهرة الدفاع عن النفس"، وهي تظهر كرد فعل عند الشاعر لاشمئزازه من الناس وسخطه عليهم و " ظاهرة التعويض" وغريزة حب الظهور و الاستعلاء ، و هما اللتان تظهران حين يحاول الشاعر تعويض ما لم يحققه في حياته الاجتماعية فيحققه في حياته الفكرية و الأدبية".¹²

كما يذهب علماء التحليل النفسي إلى أبعد من ذلك فهم يشترطون في كمال تفتح الموهبة

¹⁰ سنستخدم المقابل العربي "تصعيد" للمصطلح الأجنبي « Sublimation » عندما نكون في مجال الحديث عن

علم النفس و التحليل النفسي، و المقابل العربي " تسامي" في مجال الأخلاق و الدين...

¹¹ مارون عبود: جدد و قداماء، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1972.

¹² شايف عكاشة: اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1985، ص

134.

وإبداعها أن يتعرض الفنان في حياته إلى صدمات نفسية، ويرون أن الحرمان و الألم ينشطان الموهبة الفنية، إذ بواسطة هذه الأخيرة يكون التعويض عن الحرمان بالفن لا بوسيلة أخرى من وسائل التعويض، وفي المقابل ستظل هذه الموهبة معطلة إذا لم يكن هناك حرمان...¹³ و "التصعيد هو المفهوم الذي يضع حدود هذه السيورة النفسية بالكثير أو القليل من النجاح الدلالي. و يؤكد فرويد أن الفنان ينصرف عن الواقع المحيط، على غرار العصابي، ليجد إشباعا لرغباته الظائمة في المتخيل..."¹⁴.

2. بواعث الحزن:

لم يكن حزن مي زيادة حزنا عاديا ينم عن تقليد، بل إن هذا الحزن الذي سيطر على الأدبية له —بواعثه ومبرراته، وقد تعددت أسباب الحزن عند ها و تنوعت و لكن سنقتصر في دراستنا هذه على أبرزها و أهمها:

1.2 . نزوعها نحو التشاؤم:

مي زيادة بطبيعتها ميالة إلى الحزن، نزاعة نحو التشاؤم، كئيبة بفطرتها، منطوية، و رغم أنها حاولت في الكثير من الأحيان التغلب على هذا الشعور إلا أنها أخفقت، أضف إلى ذلك أنها عانت صراعا نفسيا حادا في حبها لجبران سبب لها الشقاء، ولجبران العذاب و الإرهاق¹⁵. ونسجل اعتراف مي باستعدادها للشجن والألم من خلال رسالة كتبتها إلى صديقتها جوليا طعمة دمشقية وها نحن نوردها:

" عزيزتي،

... أصبح أنك لم تهتد بعد إلى صورتي، فهاكها: استحضري فتاة سمراء... يرافق أولئك جميعا، استعداد كبير للطرب والسرور واستعداد أكبر للشجن والألم، وهذا هو الغالب دوما، وأطلقني على المجموع اسم " مي " تري ما يساجلك الساعة قلمها.¹⁶

¹³ ينظر: سامي الدروبي: علم النفس و الأدب، منشورات جماعة علم النفس التكاملية، بإشراف الدكتور يوسف

مراد، دار المعارف (مصر)، ط 2، (د،ت)، ص ص 244-245.

¹⁴ أنزيو، فرويد، إبراهيم...، التصعيد — دروب الإبداع، ترجمة وجيه أسعد، الدراسات النفسية "38"، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997، ص ص 276-277.

¹⁵ سلمى الحفار الكزبري و سهيل بديع بشروني: الشعلة الزرقاء — رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، ص 20.

من خلال استقراءنا لهذه المقاطع من الرسالة يتضح لنا جليا مدى استعداد مي للأحزان و
الأشجان. و لا تبرحها الآلام، بل تظل ملازمة لها. وتكتب لرفيقة أخرى معبرة عن الكآبة:
"...وغشت الأرض كآبة ربداء وغشت عينيك كآبة ربداء
أي شمس تغيب فيك أيتها الفتاة و لماذا يشجيك عينيك هذه الكآبة الربداء، ألا احرصى على
قلبك أيتها الفتاة !"¹⁷

وبعد تساؤلات تطرحها الأديبة الشاعرة تقول في مقطع آخر:
وإذا تحولت عنك إلى مرآتي رأيت هناك وجهك مفجعا حزينا؟
(...) جميع الأشياء انتعشت انتعاش من خرج من أزمة وانفجر وأنت أي علة تضنيك فتلويين
وتتأوهين؟¹⁸

ويعاودها الألم عندما يحل المساء: " جاء المساء مرة أخرى، جاء المساء وتبعه الليل،
وعيناك قرب السراج جامدتان جمود من يتأمل جثة فأشعر بأن فيك أمسى جثة.
لقد استسلمت لجمال المساء فطعنك المساء بسكين منه سري يقطر دما و ظلاما" صورة للألم
و التشاؤم في منتهى الفظاعة و التبرم و السخط، و في موطن آخر نجدها تسعد و تحزن لتألم
الآخرين لأجلها، إذ تكتب إلى: ص.ر، رسالة بالفرنسية ورد فيها ما يلي:
" تقولين أنك تألمت لأجلي ؟ فأنا سعيدة حزينة، لأنك تألمت لأجلي. ففي الألم يا عزيزتي تجد
النفس لذتها القصوى، هذا أمر أكيد و لكنه عسير المنال أحيانا، و لكنها الحقيقة. و هل هناك
حب أسمى من ذلك الذي يولده ألم الحبيب الذي نحب رغم الألم..."¹⁹ ، بالإضافة إلى كل هذا
وذاك فقد عاشت مي زيادة وحيدة بين أحضان والديها وهذا من شأنه أن يجعلها حزينة كئيبة.

¹⁶ مي زيادة: رسائل مي - صفحات وعبرات من أدب مي الخالد -، تقديم جميل جبر، منشورات مكتبة بيروت،

(د، ط)، 1951، ص 56.

¹⁷ م، س، ص 87

¹⁸ نفسه، ص 88

¹⁹ م، س، ص 85

وكانت بطبيعتها تحب الانطواء، فلم تكن تشارك جيلها - في مدرسة عينطورة - في تساليه بل تفضل الوحدة وتهرب من الآخرين، ويبدو ذلك جليا في باكورة أعمالها " أزاهير حلم

20

ويبلغ التشاؤم ذروته فتتفجر قريحتها لتسجل نفثات جرحها و كآبتها: " حزينة اليوم روحي وحزنها القاتم مؤلمي، فعلام الاكتئاب؟... وأنت أيتها الوريقات الساذجة (...) وأنا حزينة إذ أراك تتناثرين، وترفرفين، تتهافتين نحو مثواك القاسي، و حزني هذا جدا مؤلمي (...) نفسي اليوم حزينة و حزنها قاتم أفكر في الأوراق المتناثرة، و في الأحياء الذين يضحكون، و في الموتى الذين مضوا كأنهم لم يكونوا... "21 .

وهكذا يشمل تفكيرها كل شيء، إنها تحمل في نفسها هم الوريقات المتناثرة، هم الأحياء الذين يضحكون، كما تحمل هم الذين ذهبوا وكأنهم ما وجدوا، وحتى الدموع كانت محل اهتمام مي وذلك من خلال خطبتها التي عنوانتها " الدموع " والتي بينت فيها أهمية الدموع من النواحي الصحية والاجتماعية، قالت: "... و كيف تتكون الدمعة؟ ما أشبه حكايتها بحكاية اللؤلؤة ! إنه لا بد لكل واحد من الحصول على مجموع معلومات يتكفل بإيصالها إليه اثنان: الأحوال والبشر. وأهم تلك المعلومات وأبقاها في النفس لا يأتي إلا عن طريق العذاب والألم..."22

من محاسن طريقة مي في خطبتها أنها تتخذ لها عنوانا طريفا وموضوعا موحدا تركز عليه كلامها وتربط ما تفرق من أجزائه.

وها هي تتأوه للدموع عندما تحدثنا عن عائشة التيمورية²³.

²⁰ ينظر: سيمون عواد: من أدب مي زيادة، دار عواد للطباعة و النشر، (د،ط)، 1981، ص 9-10.

²¹ حسين عمر برادة: أحاديث عن مي و أسرار غير متداولة من حياتها، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، (د،ط)، 1983، ص 205.

²² مي زيادة: كلمات و إشارات، م 2، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت ط 1، 1982، ص 82. عن مقالها " الدموع ".

²³ عائشة التيمورية شاعرة رائدة من شاعرات مصر (1840-1902)، تنتمي إلى أسرة أرستقراطية.

، فكتبت: " واهّا لتلك الدموع ! تنصب في القلب عند كلام الحاسد و المتطاول، وتدفع إلى التشاؤم في نبالة الفطرة البشرية (...) واهّا لتلك النصال تغمدها في القلوب (...) واهّا لتلك الأيدي التي أحسنت إليها..."

وهكذا تمضي في تأوهات وألامها، ويعز عليها و يحز في نفسيتها أن ترى الباقيات حولها: " أيتها السيدات والأوانس، أراكن تبكين وعزيز علي أن أكون سببا في حملكن علي البكاء..."²⁴ وقد عرفت مي زيادة بمناصرتها للمرأة، ودعوتها إياها للتحرر من رقة العبودية، فكانت من هذا المنطلق أن عنيت بكل ما يشغل المرأة، فلم تهمل لا صغيرة ولا كبيرة متعلقة بالمرأة إلا وكان لها فيها ما نقول، ولقد رأينا مثلا حديثها عن الدموع في دراستها لوردة اليازجي²⁵، وعائشة تيمور وغيرهما.

وحتى عبارات المجاملة التي تتبادلها في الأعياد و المناسبات قالت فيها مي كلاما وأعطت فيها رأيا: و هذه هي النفس المرهقة الشعور لا تدع شيئا يفلت من قبضة شعورها، كانت نفسها تثور أمام مشاهد الظلم، تتوجع لمظاهر الجهل و التخلف، كأني بها من تلك الفئة التي لا ترى اعوجاجا إلا و بادرت إلى تغييره.

في " عام سعيد " المقال الذي تحمل فيه بعنف على عادة الحداد، تقول: " ما أكثرها عادات تقيدنا في جميع الأحوال فتجعلنا من المهد إلى اللحد عبيدا! نتمرد عليها ثم ننفذ أحكامها مرغمين..."²⁶

وتنتقل إلى موضوع الحداد الذي تبين فيه أن هذه العادة تظلم المبتلى بفقد عزيز لأنها تعين ما يجب لبسه و تحرمه من الكثير مع أنه أحق الناس بالسلوى و التعزية. و تضيف قائلة: "...و تمهيدا لذلك اليوم الآتي، أحيي الآن كل متسح بالسواد، أما السعداء فلهم من نعيمهم ما يغنيهم عن السلامة و التحيات...أحيي كل حزين منفرد و كل بائس و كل كئيب. أحيي كلا منهم ومتمنية له عاما مقبلا أقل حزنا وأوفر هناء من العام المنصرم".

²⁴ مي زيادة:وردة اليازجي، م 1، جمع و تحقيق سلمى الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1982، ص 223.

²⁵ وردة اليازجي: توفيت سنة 1924، و هي شاعرة معاصرة لمي.

²⁶ مي زيادة: سوانح فتاة، م 2، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت ط 1، 1982، ص

554، عن مقالها " عام سعيد ".

" نعم، للحزين وحده يجب أن يقال: عام سعيد!²⁷ لكن مي رغم ثورتها العنيفة على ظلم التقاليد و رعونتها، تلزم جانب الاعتدال و تستبعد الترف الأهوج و التمرد الهدام. إنها ترى أن لا يقال " عام سعيد " إلا للمحزون " إن المحزون أحق الناس بالتعزية و السلوى، لسمعه يجب أن تهمس الموسيقى بأعذب الألحان، و عليه أن يكثر من التنزه لا لينسى حزنه فالحزن مهذب لا مثيل له في نفس تحسن استرشاده، و إنما ليذكر أن في الحياة أموراً أخرى غير الحزن و القنوط..."²⁸.

نعم إن المحزون أحق الناس بالمواساة، و له فقط يجب أن يقال " عام سعيد "، فهذه التهنة تجعلها الكاتبة مقصورة على المحزونين دون غيرهم ! نعم للمكروب فقط يجب أن تعترف الموسيقى و أعذب الألحان ! و في حديثها عن الألحان و الموسيقى تقارن بين الموسيقى الشرقية و الموسيقى الغربية فقالت أن هذه تمتاز بكونها " علمية"، يحتاج فهمها و تذوقها إلى درس و اطلاع و إنها تمثل في تأليفها و توقيعها مأساة الجهاد و الكفاح بين العواطف و الذكاء. أما في الشرق فكل الموسيقى عذاب و شجون و أنين: هي صوت القلب و خلاصة التعبير الوجيع. يتجسم فيها دون غيرها معنى الامتثال اليأس و الصبر المرير. تقول في هذا الصدد: "... بين موسيقى الشرق و موسيقى الغرب فرق أساسي فهي في الغرب علم تمثل في تأليفها و توقيعها مأساة الجهاد و الكفاح بين العواطف و الذكاء. أما في الشرق فكل الموسيقى عذاب و شجو و أنين.

هي صوت القلب و خلاصة التعبير الوجيع، يتجسم فيها دون غيرها معنى الامتثال اليأس و الصبر المرير..."²⁹

و ما يمكن تسجيله هنا هو استعمال مي لبعض الألفاظ الإفرنجية، فتستعمل الهارموني " Harmonie" و السوناتا " Sonate" و الكونتاتا ... و يوعز ذلك الأستاذ محمد عبد الغني حسين أنها ربما لم تمهد إلى مصطلحات بالعربية لهذه الألفاظ، فاستعملتها رغماً عنها، و يستدل على

²⁷ نفسه: ص 556.

²⁸ نفسه: ص 555.

²⁹ مي زيادة: بين الجزر و المد، م 1، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت ط 1، 1982، ص 495، عن مقالها: " في عالم الألحان ".

كلامه هذا أنها في سنة 1923 أصبحت تستعمل المصطلح العربي الجديد و بين قوسين بعده تضع اللفظ الإفرنجي...³⁰ مثل: تساوق الألحان (Harmonie) و النغم (Melodie) و لا بأس أن نستعرض مقتطفات لندعم صحة ما ذهب إليه محمد عبد الغني حسن، نقول مي في هذا الشأن "... بل هو استسلم لأثر الموسيقى الأوروبية المتعارضة أنغامها بالعناصر الوصفية و الذهنية التصويرية في تساوق الألحان لمسيرة اللحن الأساسي و هو النغم..."³¹.

2.2. تأثيرها بالرومنطيقية:

دشنت مي زيادة عهد تأثير الرومنطيقية في الأدب النسائي، فقد تأثرت بالأدب المهجري، كما قرأت للكثير من الرومنطقيين الذين أثروا فيها بأبلغ تأثير، و من بينهم - على سبيل المثال لا الحصر - نذكر: شلي، وردزورث، وكيتس... إلخ. و هذا المذهب الرومنطقي كثيرا ما يعنى بالعاطفة و يطلق العنان للخيال³² و من هذا المنطلق كانت مي تتأنى في كتابتها، وتكتب أدبا عاطفيا، فمن التوقيع الشجي في مواقف الحزن و المحبة، إلى التأجج العاطفي في مواقف الحماسة و التغني بالأوطان...³³ و قد كانت مي زيادة منكبة على المطالعة، و كثيرا ما تطالع أدب الرومنطقيين، فقد قرأت لشكسبير، فولتير، روسو، كورناي، راسين، موليير، مدام دوستايل، فينلون، مدام دوسغينييه.... و لم تكن مكاتبها الأولى لجبران خليل جبران إلا بدافع تأثرها بمقاله: " في مثل هذا اليوم ولدتي أمي "، فالتمت فيه غصة ألم وضراوة و حشة، فأعجبت بشخصيته...³⁴ و لا غرو في ذلك فقبل مكتبة جبران الرومانسي تعلق بـ " لامتريين " بعد أن أغرتها أشعاره و سيرته، إلى حد جعلتها تتنكر لجنسها و تتجرأ أن تقدم إليه أول نتاج لها بهذه العبارة: " إلى النفس الكبيرة، العذبة، المتألقة... إلى لامتريين، من قلب فتى يحبه ".³⁵

³⁰ ينظر: محمد عبد الغني حسن: حياة مي، دار الكتب المصرية، (د،ت)، 1942، ص 23.

³¹ مي زيادة: بين المد والجزر، ص 493

³² ينظر: محمد زكي العشماوي: فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر،

بيروت، (د،ط)، 1979، ص 76.

³³ ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط 6، (د،ت)، ص 1110.

³⁴ ينظر مختارات من مي: سلسلة مناهل الأدب العربي، 55، مكتبة صادر، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، ص 10.

³⁵ سيمون عواد: من أدب مي زيادة، ص 11.

و النتاج الذي أهدته للشاعر الرومانسي لامرتين هو " أزاهير حلم " و فيه يبدو تأثرها الشديد بالرومنطيقية فقد استوحت أكثر موضوعاتها من الطبيعة و الذكريات و لنا وقفة معها في إحدى قصائدها التي وردت في هذا الديوان و عنوانها " ارتياب " (Doute) و لنختر منها ما يلي:³⁶

صديقتي يا ذات العينين الكبيرتين الوديعتين، روجي تناديك !
الريح في هذا المساء تهب هوجاء شديدة الوطأة،
الريح تجأر، و صوتها العصي الناحب
يرجع في دوي الصدى عصيا مكبوتا.
صديقتي يا ذات العينين الكبيرتين الوديعتين، روجي تناديك

* * * * *

في اكتئاب أحلم، جالسة بين الأزهار
جناح الأعصار يلطم نافذتي
السماء تبكي: واهل لهذه الدموع المنتحبة
ماذا تحرك بسيرها في أعماق الكيان !
في اكتئاب أحلم، جالسة بين الأزهار.³⁷

³⁶ فاروق سعد: باقات مي حداث مي -سيرة مي زيادة مع مقتطفات من تراثها -، منشورات زهير بعلبكي، بيروت، الطبعة الثانية، 1980، ص 448-150، نقلا عن ديوانها: " أزهار حلم ".
³⁷ القصيدة بالفرنسية:

Amie aux grands yeux doux, mon âme vous appelle.
Le vent ce soir, capricieux et lourd.
Il mugit et sa voix gémissante et rebelle.
Fait resonner en moi l'écho rebelle et sourd.
Amie aux grands yeux doux, mon âme vous appelle.

Et tristement je rêve assise entre les fleurs.
L'aile de l'oragon fouette ma fenêtre, le ciel pleure: Ah ! Ces pleurs, ces
lamentables pleurs.
Que vont-ils remuer aux profondeurs de l'être !
Et tristement je rêve assise entre les fleurs.

نلمس من خلال هذين المقطعين شغف مي بالطباعة و توظيفها لمصطلحات، مثلاً: " الريح Le vent"، وتكرر هذه الريح، و في التكرار دلالة على ذوبان الشاعرة و انصهارها في الطبيعة، و هذه التسمية من سمات الرومنطيين، فالطبيعة عندهم أم البشر الخالدة، هي التي تدمهم بالراحة و العزاء، وللاشارة فإن قصيدة " ارتياب " قد نظمت بالفرنسية ثم ترجمها الأستاذ جميل جبر إلى العربية عند ترجمته لديوانها: " أزهار حلم"، و كما نعلم فقد بدأت الكتابة بالفرنسية. و " أزهار حلم " هو باكورة أعمالها الأدبية، و فيه انطلقت الشاعرة - الأدبية للتعبير عما يخالجها بكل عفوية و صدق، إذ نلمس تجاوب نفسيته مع الطبيعة، فمن ناحية الأسلوب تمتاز برشاقة العبارة، و أناقة الألفاظ، نراها قصيرة النفس، محدودة الخيال. في القصيدة تعبر الشاعرة عن " الارتياب " و لكنها تمزج ذلك بالطبيعة و الكآبة. أضف إلى ذلك - إلى تأثر مي بالرومنطيين - أنها نشأت بين فلسطين، لبنان و مصر، بالإضافة إلى أنوثتها الطبيعية، و ثقافتها الفرنسية، و عصرها العاطفي على الأخص، و هذه كلها ساعدت في تكوين فتاة ذات نزعة رومنطيقية.³⁸

فالطبيعة ملجأ الشعراء يركنون إليه هرباً من الحياة مع الناس أو ليطلقون العنان لأفكارهم المادية أو الدينية فيتركون المدينة بما فيها من نكد و شقاء و يلوذون بالطبيعة و يتخذون من حياة الطير فيها صورة لجمال العيش و صفوه...³⁹ و هذا ما حدث مع الأدبية الشاعرة مي زيادة التي كثيراً ما نعثر لها على كتابات تفصح فيها عن تعلقها بالطيور، الجبال و الأشجار و هي ميزة تطبع كتاباتها فلأخذ مثلاً مقالها " دمعة على المغرد الصامت " إذ تقول: " ما أسرع ما تتمزق أثواب الورود، و ما أتعس القلوب الشديدة التأثر ".

" طائر صغير أحببته شهوراً طويلاً، غرد لكأبتي فأطربها. ناجى وحشتها فأنسها. غنى لقلبي فأرقصه، و نادى وحدتي فملأها ألحاناً، (...) لما أبكتني الآلام أريته مندلي مبللاً بالدموع فأعرض عني. إنما تستدر الدموع ظلمة الأحزان كما يستدر الندى ظلام الليل..."⁴⁰

³⁸ أحمد بسام ساعي: حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1،

1978، ص 446.

³⁹ ينظر: م س: أحمد بسام ساعي، ص 454.

فعبارتها في هذا المقتطف تمتاز بالتنسيق الذي يضمن لها جمال النغم و الإيقاع يسعفها على ذلك قوة إحساسها الموسيقي و ثقافتها الفنية.

فالقارئ يترنم بعبارتها كما ترنمت مي باسم باحثة البادية في أول رسالة وجهتها إليها " ترنمت باسمك قبل أن أعرفك...⁴¹"

وهي لهذا الغرض تلجأ إلى التوازن في عباراتها، بحيث تتعاقب -كما رأينا في "المغرد الصامت" أزواجا متماثلة التركيب أو تتعاقب متوازنة من غير أن ترتبط بعدد في المقال نفسه: "تور فكر أضاء، ثم اضمحل في لجج العدم وردة أثير تنفست، فعطرت، وأسكرت، ثم ذبلت ". "صديق صغير غرد فأطربني، وسكن في جوارى فأنسني، ولما مرق العالم بشره وصغائره، غنى طائري، فأنساني قبح القباحة، وجعلني أفكر في كل حسن...."⁴²

وتذكرنا مي في حبها للطبيعة بالكاتب الأمريكي هنري دافيد ثورو، الذي عاش في القرن الماضي، والذي كان يجد غاية المتعة واللذة في رؤية الأزهار والأطيوار والحيوان والأشجار والجمال والحقول والذي خاطب الطبيعة بقوله: " أيتها الطبيعة الغالية ! كم أتذكر الآن - بعد نسيان قصير - غابات الصنوبر ! إنني أتهالك عليها كما يتهالك الجائع على كسرة من الخبز ".⁴³

وقد تعدى تأثر "مي" بالطبيعة إلى مزجها بالحياة، إذ تقول و هي تعرف الحياة في خطبتها الشهيرة " غاية الحياة: " إن لفظة الحياة في معناها التام تشمل الكون بأسره مما يرى و ما لا يرى..."⁴⁴ فتعريف مي للحياة يشمل الطبيعة، كما نجد في موطن آخر تقرر الألم بالرمال " أفواج

⁴⁰ مي زيادة: ظلمات و أشعة، م 2، جمع تحقيق سلمى حفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 1982،

ص 308، عن مقالها "دمعة على المغرد الصامت"

⁴¹ مي زيادة: باحثة البادية، م 1، جمع و تحقيق سلمى حفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1،

1982، ص 146.

⁴² مي زيادة: ظلمات و أشعة، عن مقالها "دمعة على المغرد الصامت"، ص 310.

⁴³ محمد عبد الغني حسن: مي أدبية الشرق و العروبة، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر، (د، ط)، (دمت)، ص 30.

⁴⁴ مي زيادة: غاية الحياة، م 1، جمع و تحقيق سلمى حفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 1982، ص 645.

عديدة من الرمل تتلمل شيناً فشيئاً، فوجاً بعد فوج و تتحدث في أواخر الغلس (...). إنما جعلتنا الأقدار متحاذيات متلاصقات لنفرش هذه الأرض و نكون منها الصداة المحترقة (...). وددت لو أن لي دمعا أذرفه من فرط السامة و الألم"⁴⁵.

وتلقي الطبيعة بظلالها و إحياءاتها على أدب "مي" في معرض حديثها عن قتل النفوس و هي مقالة تتحدث فيها عن رفيقة لها في الصغر إذ تعالج فيها مشكلة شك الآباء في بناتهم و ما يتركه هذا الشك في نفسيتهن... "رأيتها تنظر إلى الأشجار بعينين كئيبتين و شفتاها مطبقتان كأن قبلة الأسف طبعت عليها (...)

قلت: " مالي أراك حزينة؟ "

قالت: " يحزني الربيع "

قلت: " أخبريني ما بك ؟ "

قالت: " يحزني الربيع. يحزني أن أرى مواكبه الجميلة تسير في الفضاء فلا يراه البشر (...). و يحزني أن لا أكون مستقلة بكوتي و أن يكون للآخرين حقوق عليها يفتحونها و يغلقونها كيفما شاؤوا لا مثلما أريد"⁴⁶. و هي تقصد بذلك فتح الآباء لرسائل بناتهم و شكهم فيهن، ثم تواصل مي حوارها:

قلت: " ماذا يحزنك ؟ "

قالت: " يحزني الربيع. تحزني هذه الأزهار الزرقاء و الصفراء و الحمراء (...). إنها تستنشق الهواء بكل ما فيها من قابلية و تتمتع بالحياة بكل ما فيها من استعداد فلماذا قدر على بني الإنسان أن يكونوا دون النبات حرية "⁴⁷

و نلمس من خلال هذا تنكر الفتاة التي يتجرأ والدها بأن يفتح لها رسالتها بدافع من الشك في أخلاق و صلاح ابنته، فيحز في نفسية هذه الأخيرة معاملة كهذه التي تترك آثارا سلبية مدى الحياة.

⁴⁵ مي زيادة: كلمات و إشارات، ج 2، م 2، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت،

لبنان، ط1، 1982، ص 234، عن مقالها: " مساجلة الرمال ".

⁴⁶ مي زيادة: " سوانح فتاة "، عن مقالها: " قتل النفوس "، ص 522.

⁴⁷ نفسه، ص 522.

و من خلال هذه المقالة، نرى "ميا" تحمل على الأهل الذين يفتحون رسائل بناتهم فتقول بلسان الفتاة الشاكية من هذا الظلم: " هذه المعاملة تعذبني منذ شهور لأنها تتم عن ضعف ثقتهم بي و أنا لم أفعل قط ما يستوجب سوء الظن. و صرت أتألم كلما وردت إلي رسالة لأنها تذكرني بأن في بيتنا قلم مراقبة."⁴⁸

في تحليلنا لأسلوب مي هذا يحق لنا أن نقول أنها تمنح للألفاظ الأهمية القصوى في إيحاءها بالمعنى و التعبير عن الشعور فهي في نظرها، كما في نظر هوغو " كائنات حية "، إلا أن اللفظة بمفردها لا قيمة لها إلا إذا احتلت مكانها المناسب، فكانت فخمة هدامة في مقام يستدعي الضخامة رقيقة في مواضع الرقة.

و قد كانت مي ذات طبيعة مرهفة، و كان الأسى يبدو واضحاً في كتاباتها الأدبية (...). و لعل ظروف حياتها التي بدأتها وحيدة، لا تنهأ بإخوة و أخوات يؤنسونه في هذه الحياة الدنيا إلا أختاً واحداً لم يعيش إلا قليلاً، ثم صمت بالموت – كما صمت طائرها المغرد – هي التي أثرت في نفسها هذا التأثير...⁴⁹

تستمر مي زيادة متغنية بالطبيعة و أسرارها تنبثها أحلامها و آلامها " و الطبيعة بالاستواء، الطبيعة و قد انتشرت الأشجار و الصخور على الجبال و الوهاد..."⁵⁰

و لا شك – كما سبق و أن قلنا – أن لكتاب المهجر بعض الأثر في أسلوب مي كما يبدو لمن يقرأها و يقرؤهم، فقارئ أدب مي يخيّل إليه أنها نهلت من ينبوع أدباء المهجر.

و من خلال عرضها و إيضاحها لبعض النظريات بطريقة المنطق و البرهان نراها تقم الوصف و المعارضة و التعداد فيصبح أسلوبها فنياً و علمياً في آن واحد: " من عجائب الطبيعة وضعها النقيض بجوار النقيض: الأكمة الجرداء قرب البحر الزاخر و خضرة الخمائل و خصب الواحات وراء رمال الصحاري و قحط القفار..."⁵¹

⁴⁸ نفسه، ص 523.

⁴⁹ ينظر: طاهر الطناحي: كتاب الهلال، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال، عدد مارس 1959، ص 24-25.

⁵⁰ مي زيادة: ابتسامات و دموع، م 2، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزيري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 1982، ص 619.

⁵¹ مي زيادة: المساواة، م 1، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزيري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 1982، ص 558، عن مقالها: العبودية و الرق.

فأسلوبها كما نرى يميل إلى الأناقة من غير أن يفقد صبغته العلمية وقوته التحليلية يلتزم الدقة و الموضوعية رغم كونه يشف عن نفسية الكاتبة المتوجعة و يبرز حرارة شعورها. وهذه مذكراتها في عنبطورة تكشف لنا نفسية "مي"، تلك الفتاة اللعوب الخفيفة الروح، الميالة إلى الوحدة و الاختلاء بالطبيعة و تأمل أسرار الكون. إنها تخشى إغضاب الناس، فتهرع إلى الطبيعة: "أومن بإله واحد ! (...) لابد أن يكون في السماء جوقة موسيقية بارعة تعزف من الألحان الربانية ما لم تسمعه من هذه الأرض أذن..."⁵². ثم تتوجه مخاطبة الصخور: "هي تلك النظرة الجافية التي حملتني على البكاء و أخرستني طول النهار و المعلمات يسألنني عن حزني، و البنات يسألنني عن بكائي، فبم أحيب ! لو تلفظت بكلمة واحدة لأخجلتني غباوتي و كنت موضوع نكتة لهن. كيف أتخلص من شعوري ؟ كيف أفنيه ؟ كيف أصير صخرة ؟ حدثيني أيتها الحجارة العسيرة، كيف صرت حجارة."⁵³

هذه هي "مي زيادة"، إنها ذات نفس طائفة كثيرة التساؤل، تتجاذبها عوامل الحزن، و السخط...شديدة الإحساس بالأشكال الطبيعية و الألوان و الأصوات و العطور،تخاطب الصخور لأنها على مثال الرومنطيين، تبث الحياة في الجماد، أفكارها تجاوز الواقع، تنقلها إلى عوالم خيالية فيها الملائكة الأطهار.

و لا يخفى أن "مي زيادة" و هي تقوم بدراسة عن باحثة البادية⁵⁴ كانت بدافع الإعجاب بهذه الباحثة فقد تهمت نفسيها، وصفت - و هي تتحدث عنها - المكان و الزمان على طريقة الرومنطيين: "ذهبت إليها و الشفق يضرم ناره في قلب الأفق و السحب قد انقلبت هنا لهيبا..."⁵⁵

و بعدما تخبرنا عن المكان و الزمان و تصف لنا شخصية الباحثة، تنتقل إلى الحديث عن الألم: "و لكن لا ننقم على الألم. فهو مغذي الذكاء و مهذب الشعور و منبه الإدراك إلى معان جمة

⁵² سيمون عواد: من أدب مي زيادة، ص 23-25.

⁵³ م.س، ص 18.

⁵⁴ باحثة البادية: هي حفني ناصف الكاتبة المصرية المعروفة و إحدى المجاهدات البارزات في سبيل تحرير المرأة، كتبت عنها مي مؤلفا عنوانه: "باحثة البادية"، ولدت بمصر عام 1886، و توفيت عام 1918.

⁵⁵ مي زيادة: باحثة البادية، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 40، عن مقالها: "كيف عرفتها".

و أساليب فكرية كثيرة.⁵⁶ و يتضح لنا من خلال ما استعرضناه أن أسلوبها يستوحي الرومنطقيين في تخطي الواقع و استخراج الكلي من الجزئي، إذ التجربة الذاتية المحدودة تقتضي خيالها الخصب بحيث يتدفق بالمعاني و يسوقها إلى التفكير على مستوى عالمي. إن تأثير الأدب المهجري يمتزج عند مي بتأثير الأدب الرومنطقي الذي نهلت من معينه يوم كانت طالبة على مقاعد الدراسة. فموضوعاتها الوجدانية هي موضوعات الرومنطقيين و تأملاتها مثلهم تمجد الألم، تناجي الطبيعة و الآثار، يشوقها ذكر الوطن يهزها بكاء الطفل، تذرف دموعاً على المغرد الصامت، وتتغنى بأسرار العيون !

3. العزلة و الوحدة:

إن الاعتزال عند معظم الشعراء صورة لفشل الانسجام بينهم و بين وطنهم.⁵⁷ وتدخل " مي زيادة " في هذه الزمرة، فبعد موت والديها استسلمت للدموع و اعتزلت الناس⁵⁸. "...و عائدة⁵⁹ من بلدة بعيدة كل البعد، لذلك لا يزورها من ذويها في العيد أحد. و ستقضي هذه الأيام و حدها..."⁶⁰ و تقول في مقالها " عائدة تتذكر ": " و كانت تكتئب لأن رفيقاتها الصغيرات أخذن يغادرن الدير (...) فانصببت الفتاة و فرت هاربة إلى حيث لا يعثر عليها، و شهقت متجمعة نقول: أواه!..."⁶¹

ثم تواصل متحدثة عن البيانو: " هناك جلست طويلاً و السماء تمطر رذاذاً "، ثم نهضت إلى البيانو و ما كادت تمس أصابع العاج حتى سحبت يدها قائلة: " ما أشد برد البيانو ! " ثم أضافت: " بل البرد في يدي، البرد في روحي، البرد في وحتي و غربتي !"⁶²

⁵⁶ م.ن، ص 44.

⁵⁷ ينظر: أحمد بسام ساعي: حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، 1978، ص 464.

⁵⁸ يظر: نعيم الحمصي: الرائد في الأدب العربي بين 132 و 1325، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1979، ص 779.

⁵⁹ هي مي نفسها.

⁶⁰ مي زيادة: سوانح فتاة، ص 585، عن مقالها " عائدة تتذكر ".

⁶¹ نفسه: ص 585، عن مقالها " عائدة تتذكر ".

وقد أثرت مي زيادة الوحدة، و فرضت على نفسها العزلة، و أخذ ميلها إلى العزلة يظهر بعد فقدانها لوالديها، و بعد أن ألمت بها الكروب و غمرها الحزن.⁶³

وقد حاول الدكتور طه حسين إخراج مي من عزلتها و لكن محاولاته معها باءت بالفشل، إذ يقول في هذا المضمرة: " ذلك أن مي كانت في طور الحزن اللاذع و الألم الممض و التشاؤم الذي كان يسرع إليها كما كانت تسرع إليه و طالما دفعت عنها هذا التشاؤم و طالما حاولت أن أرد عنها هذا الحزن المهلك و لكن لم أكن أدنو إلى النجاح إلا ليردني الإخفاق عما كنت أريد ردا عنيفا. و كنت أريد أن أستقذ مي من تشاؤم أبي العلاء..."⁶⁴

و يظهر أن مي عانت آلاما نفسية دفعت بها إلى العزلة. و هذا ما تقرره رسالتها إلى جوزيف: "...منذ مدة طويلة لم أعد أكتب و كلما حاولت ذلك شعرت بشيء غريب يجمد حركة يدي و وثبة الفكر لدي...إني أتعذب يا جوزيف. و لا أدري السبب فأنا أكثر من مريضة..."⁶⁵ و توزع هدى شعراوي أسباب حزن مي إلى العزلة، الوحدة، و الانفرد إذ تقول: "...فعاثت منعزلة في عالم خلقته من مواهبها...ألا ترى إلى قمة الجبل الشاهق كيف استغنت بسموها في آفاق السماء فرضيت بوحدها؟"⁶⁶

ثم تواصل في إعطاء تبريرات لهذا الحزن المستبد بمي و الذي صبغ أدبها بوشاح أسود حالك: "... فلقد كانت تأمل أمل الغتيات و تحلم أحلام البنات، و لكن الأقدار باعدت بينها و بين الزوج الذي يسعدها،

و البيت الذي يؤمنها - و أعني ببيت الزوجية، الأطفال الذين يجعلون للحياة قيمة من حولها - نعم حرمتها الأقدار من ذلك كله...و هو شاق على كل امرأة (...) من المؤكد أنها لم تكن سعيدة في حياتها (...) ضحت بشبابها اللامع المضيء و ذكائها المتوقد، الملهب...و

⁶² سوانح فتاة: م. س، ص 585.

⁶³ ينظر: حسين عمر برادة: أحاديث عن مي زيادة وأسرار غير متداولة من حياتها، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، 1983، ص 56.

⁶⁴ م، س، ص 57.

⁶⁵ جميل جبر: رسائل مي زيادة، ص 74.

⁶⁶ عبد السلام هاشم حافظ: الرافعي و مي، ص 138.

قدمتها إلى الحياة قربانا خالصا... لقد كانت الكتابة تشغل ميا عن آلامها و أحزانها، مسكينة مي".⁶⁷

وقد تعود أسباب عزلة مي و لجوئها إلى الوحدة خيبتها في الحب ! فقد " اشتد قلقها من أجل الحبيب الغريب الذي ترامت المسافات دونه كما ترامت روحها عليه".⁶⁸ و لما وجدت أنه ليس باستطاعتها أن تلتقي بجبران، سيطرت عليها الكآبة و حاولت أن تتغلب على هذا الشعور بالفراق نحو المطالعة.⁶⁹

والقلق يلح كلما كان إلحاح الرغبة في الحب، فيكون ذلك مصدرا للجزع و العذاب.⁷⁰ و خلاصة القول أن مي زيادة عرفت بالعزلة و الانطواء على ذاتها و الانفراد و هي ميزات الفنانين و في هذا الصدد كتب فرويد يقول: "...الفنان انطوائي من الناحية المبدئية، و أنه ليس بعيدا كل البعد عن العصاب، و تتملكه حاجات غريزية شديدة القوة (...) و لكنه لا يملك الوسائل التي تحقق إشباع هذه الحاجات، و نتيجة لهذا فإنه ينسحب من الواقع، شأنه شأن أي إنسان آخر يعاني من عدم الإشباع..."⁷¹

وقد تساعد العزلة أصحاب المواهب في تقجير قدراتهم الكتابية و هم بمعزل عن الناس، فينتجون أدبا رائعا شأن مي زيادة التي قامت بترجمة رواية " الحب الألماني " و هي في عزلة: " أنشأت أتصفح الكتاب في عزلة " الكوخ الأخضر " و لم أفرغ من الفصل الأول حتى تملكنتي روحه الشعرية الفلسفية و أرهفت ذهني (...) و كنت كئيبة. كنت أكتب لغير سبب، و أكتب للعوامل الدافعة بالاجتماع (...) الكآبة خاتمة شعور الإنسان إزاء الجمال و القباحة..."⁷²

⁶⁷ م. نفسه، والصفحة نفسها.

⁶⁸ وداد سكايني: مي زيادة في حياتها و آثارها، دار المعارف بمصر، 1969، ص 174.

⁶⁹ ينظر: أنيس المقدسي: الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د)، ط، 1963.

⁷⁰ ينظر: عبد الرحمان بدوي: الموت و العبقريّة، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، (د)، ط، 1945، ص 36.

⁷¹ م.س: ص 300.

⁷² مي زيادة: ابتسامات و دموع، ص 617-618.

و تبرر مي سبب تغييرها للتسمية بعد ترجمتها لهذه الرواية فتقول: " الحب الألماني كلا، ليس هذا الكتاب حبا ألمانيا فقط بل هو خلاصة بسمات الإنسان وعبراته فسميته " ابتسامات ودموع " فإن كان ذلك تزييفا لفكرة المؤلف الواجب احترامها على كل مترجم، فهو صادق من حيث اقتناعي الخاص، أمين للصورة التي ارتسمت منه في نفسي..."⁷³

من هذا المنطلق يتضح لنا أن توجهها لترجمة الكتاب إنما هو الإيقاع الحزين الذي أحدثه في نفسيها، وحتى العنوان الذي تصرف فيه يعبر عن تأويلها النفسي الخاص، فسيطرة الحزن عليها هي التي أملت عليها ذلك ووجهتها هذه الوجهة الحزينة، و الشيء نفسه يمكن أن يقال عن توجهها لترجمة روايات حزينة مثل روايتي " رجوع الموجة " و " الحب في العذاب ". تقول في رواية " رجوع الموجة ": "...ظلت مرغيت جاثية زمنا طويلا و هي غائصة في بحر من التأملات المحزنة. لكنها تصورت على حين بغتة شخص إيفون منتصبا أمامها فهتقت: ابنتي المحبوبة هلمي إلى داخل قلبي، تعالي أقيمي، في حضن أمك الحزينة التي لا تنساك..."⁷⁴

و قد خصت رواية " الحب في العذاب " إلى والديها جاء فيها: "...هذه إحدى ثمار نشأتكما الوحيدة التي عنيتما بتربيتها أكبر عناية، عانيتما ما عانيتما من المشاق (...) فمن أقدم ما تستلزمه من البنية القيام بمفترض الشكر لكما دائما و إظهار ما يكنه قلبي لكما من عواطف الحب البنوي الراسخ فيه إلى آخر العمر..."⁷⁵

و هكذا اتجهت مي لترجمة هذه الروايات بدافع من الحزن و التأثير، فكانت عزلتها تعبيرا عن تلك الروح التي بينها و بين الآخرين بونا شاسعا فلم تستطع أن تتكيف و إياهم فاستسلمت للوحدة "...أي بنية لا تحب ذلك ؟ و تبتكر للهو أساليب طريفة ترفعها في تقدير رفيقاتها و

⁷³ نفسه، ص 621.

⁷⁴ مي زيادة: رجوع الموجة، م 2، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزيري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1982، ص 717.

⁷⁵ مي زيادة: الحب في العذاب، م 1، جمع و تحقيق سلمى الحفار الكزيري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 1982، ص 659.

لكنها كانت وحيدة الروح، و كثيرا ما تنزع عن ميدان اللعب إلى الحجر المنفرد في أطراف الساحة...⁷⁶

نلمس من خلال هذه الجولة حجم الألم الذي عاشته هذه الأدبية والذي انعكس على أدبها وروحها فرسمت لنا صورة حزينة قائمة عما يخالجها وقدمته للقارئ في صور مختلفة مفعمة بالكآبة تجعلنا نشعر أن الحياة عبارة عن خيبات وغصات، عبارة عن أحزان وآلام وهذا لأن مشاعر الحزن سيطرت عليها فخرجت بأحكام سلبية بسبب ماكانت تشعر به من ضياع ووحدانية فجاءت كتاباتها ملونة بشتى ألوان الحزن والأسى.

خاتمة:

تعرفنا في هذا المقال على ظاهرة الحزن في أدب مي وبواعثها والتي حصرناها في نزوعها نحو التشاؤم وتأثرها بالرومنطيقية ثم العزلة والوحدة وهذه الأسباب كلها ميزت كتاباتها بحس أنثوي حزين، فأنتجت أدبا زائدا متميزا تستمتع وأنت تقرأ تلك الخواطر والمقالات التي كتبتها، وتتعرف على إبداع مي في قالب حزين.

قائمة المراجع:

المصادر:

- مي زيادة: المؤلفات الكاملة: جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1982.
- المجلد الأول / ج 1:
- باحثة البادية.
- وردة اليازجي.
- بين الجزر والمد.
- المساواة.
- غاية الحياة.
- الحب في العذاب.

⁷⁶ مي: سوانح فتاة، ص 581، عن مقالها: " عائدة تتذكر".

- المجلد الثاني / ج 2:
- كلمات وإشارات ج 1.
- كلمات وإشارات ج 2.
- ظلمات وأشعة.
- سوانح فتاة.
- ابتسامات ودموع.
- رجوع الموجة.
- مي زيادة: رسائل مي - صفحات وعبرات من أدب مي الخالد - تقديم: جميل جبر، منشورات مكتبة بيروت، 1951.

2- المراجع:

- أحمد بسام ساعي: حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، 1978.
- أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، د، ط، 1963.
- أنزيو - فريد - أبرهام - ماري....: التصعيد، دروب الإبداع، ترجمة وجيه أسعد، الدراسات النفسية "38"، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1996.
- حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، د، ت.
- حسين عمر بريدة: أحاديث عن مي زيادة وأسرار غير متداولة من حياتها، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، د، ط، 1983.
- سيمون عواد: من أدب مي زيادة، دار عواد للطباعة والنشر، د، ط، 1981.
- سمير الحاج شاهين: لحظة الأبدية - دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1980.

- سامي الدروبي: علم النفس والأدب، منشورات جماعة علم النفس التكاملي بإشراف الدكتور: يسف مراد، دار المعارف، الطبع الثانية، د.ت.
- سلمى الحفار الكزبري، وسهيل بديع بشروئي: الشعلة الزرقاء، رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979.
- شايف عكاشة: اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1985.
- طاهر الطناحي: أطياف من حياة الأنسة مي، سلسلة كتاب الهلال، عدد مارس 1974.
- عبد السلام هاشم حافظ: الرفاعي ومي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط، 1964.
- عبد الرحمان بدوي: الموت والعبقريّة، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، 1945.
- فاروق سعد: باقات من حدائق مي - سيرة مي زيادة مع مقتطفات من تراثها - منشورات زهير بعلبكي، بيروت، الطبعة الثانية، 1980.
- محمود توفيق حسين: أدب وجدان العلي الحزين، صيد الفوائد، تم الاطلاع يوم الخميس 7 جويلية 2022 في الساعة 13:35 سا <http://www.saaaid.net/wahat/a/80.htm>
- مختارات من مي: سلسلة مناهل الأدب العربي 55، مكتبة دار صادر، د.ط، د.ت.
- محمد عبد الغني حسن: مي أديبة الشرق والعروبة، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
- محمد عبد الغني حسن: حياة مي، مطبعة المقتطف والمقطم، د.ط، 1943.
- محمد سعيد العريان: حياة الرفاعي، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1955.
- محمد زكي العشماوي: فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1979.
- مارون عبود: جدد وقدماء، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1972.
- نعيم الحمصي: الرائد في الأدب العربي بين 132 و1325، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1979.

- وداد سكاكيني: مي زيادة في حياتها وآثارها، دار المعارف بمصر، 1969.
- واسيني لعرج: مي ليالي إيزيس كوبيا -ثلاثمئة ليلة وليلة في جحيم العصفورية -دار الآداب، بيروت، ط1، 2018.